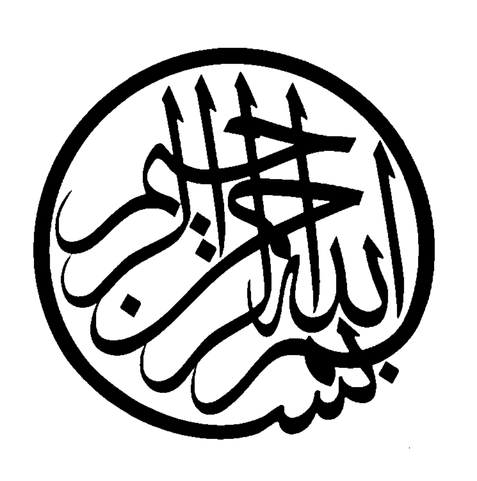
مختارات من

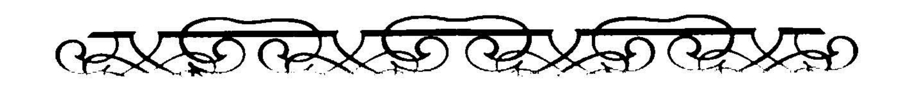
كلام ابن القيم

رحمه الله

الجزء الأول

بقلم
سليمان بن محمد اللهيميد
السعودية - رفحاء


بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فإن من المعلوم أن الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله، من كبار أئمة الإسلام والمصلحين، وذو مؤلفات كثيرة نافعة، تكلم في بعضها عن القلوب وأمراضها وعلاجها وغير ذلك.

ومن هذا المنطق فقد قمت بجمع بعض كلام هذا الإمام فيما يتعلق ببعض الأمور العبادية والقلبية والتربوية، سائلاً المولى عز وجل أن ينفع بها.

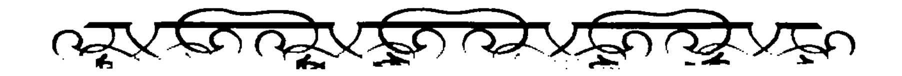
وهذا هو الجزء الأول من هذه الاختيارات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد

بقلم

سليمان بن محمد اللهيميد

السعودية ـ رفحاء



الأسباب الجالبة لمحبة الله

قال رحمه الله في كتابه مدارج السالكين (٣ / ١٨)

وهي عشرة:

١- قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به.

٢- التقرب الى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصل الى درجة المحبوبية بعد المحبة.

٣- دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب، والعمل والحال. فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

٤- إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى.

٥- مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها وتقبله في رياض هذه المعرفة

٦- مشاهدة بره وإحسانه وآلائه ونعمه الظاهرة والباطنة.

٧- وهو من أعجبها - انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى.

٨- الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

٩- مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما تنتقى أطايب الثمر.

١٠- مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل.

فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى منازل المحبة ودخلوا على الحبيب.



علامات صحة القلب

قال رحمه الله في كتابه إغاثة اللهفان (١ / ٨٤، ٨٢)

من علامات صحته:

١- أن يرتحل عن الدنيا حتى ينزل بالآخرة ويحل فيها حتى يبقى كأنه من أهلها وأبنائها، جاء الى هذه الدار غريباً يأخذ منها حاجته ويعود الى وطنه.

٢- ومنها: أنه لا يزال يضرب على صاحبه حتى ينيب الى اللّه ويخبت إليه، ويتعلق به تعلق المحب المضطر الى محبوبه، الذي لا حياة له ولا فلاح ولا نعيم إلا برضاه وقربه.

٣- ومنها: أنه إذا فاته ورده وجد لفواته ألماً أعظم من تألم الحريص بفوات ماله.

٤- ومنها: أن يشتاق الى الخدمة، كما يشتاق الجائع الى الطعام والشراب.

٥- ومنها: أن يكون همه واحداً، وأن يكون في اللّه.

٦- ومنها:انه اذا دخل في الصلاة ذهب عنه همه وغمه بالدنيا، واشتد عليه خروجه منها.

٧- ومنها: أن يكون أشح بوقته أن يذهب ضائعاً من أشد الناس شحاً بماله.

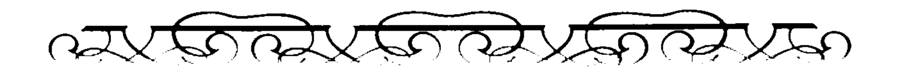
٨- ومنها: أن يكون اهتمامه بتصحيح العمل أعظم منه بالعمل فيحرص على الاخلاص فيه.

وبالجملة:

فالقلب الصحيح: هو الذي همه كله في اللّه وحبه كله له وقصده له وبدنه



له وأعـمـاله له ونومـه له ويقظتـه له وحـديثـه والحـديث عنه أشـهى اليـه من كل حديث وأفكاره تحوم على مراضيه ومحابه.



أسباب انشراح الصدر

قال رحمه الله في زاد المعاد (٢ - ٢٣، ٢٧)

فأعظم أسباب انشراح الصدر:

١- التوحيد، فالهدى والتوحيد من أعظم أسباب شرح الصدر، والشرك والضلال من أعظم أسباب ضيق الصدر وانحراجه.

٢- ومنها: النور الذي يقذفه اللّه في قلب العبد، وهو نور الإيمان، فإنه يشرح الصدر ويوسعه، ويُفرح القلب.

٣- ومنها: العلم فإنه يشرح الصدر ويوسعه حتى يكون أوسع من الدنيا، والجهل يورثه الضيق والحصر والحبس، فكلما اتسع علم العبد انشرح صدره واتسع، وليس هذا لكل علم، بل للعلم الموروث عن الرسول صلى اللّه عليه وسلم.

ومنها: الانابة الى اللّه سبحانه وتعالى ومحبته بكل القلب والاقبال عليه والتنعم بعبادته.

٤- ومنها: دوام ذكره على كل حال وفي كل موطن فللذكر تأثير عجيب في انشراح الصدر ونعيم القلب وللغفلة تأثير عجيب في ضيقه وحبسه وعذابه.

٥- ومنها: الإحسان الى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال والجاه والنفع بالبدن وانواع الإحسان فإن الكريم المحسن اشرح الناس صدراً، وأطيبهم نفساً وأنعمهم قلباً.

٦- ومنها الشجاعة. فإن الشجاع منشرح الصدر واسع البطان متسع القلب والجبان أضيق الناس صدرا وأحصرهم قلباً لا فرحة له ولا سرور، ولا



لذة ولا نعيم.

٧- ومنها: بل من أعظمها إخراج دغل القلب من الصفات المذمومة التي توجب ضيقه وعذابه.

٨- ومنها: ترك فضول النظر والكلام والاستماع والمخالطة والأكل والنوم فإن هذه الفضول تستحيل آلاماً وغموماً وهموماً في القلب تحصره وتحبسه وتضيقه ويتعذب بها.



فوائد غض البصر

قال رحمه الله في كتابه روضة المحبين (٩٤).

وفي غض البصر عدة فوائد:

أحدها: تخليص القلب من ألم الحسرة، فان من أطلق نظره دامت حسرته، فأضر شئ على القلب إرسال البصر.

الفائدة الثانية: أنه يورث القلب نوراً وإشراقاً يظهر في العين وفي الوجه وفي الجوارح.

الفائدة الثالثة: أنه يورث صحة الفراسة فانها من النور وثمراته، واذا استنار القلب صحت الفراسة.

قال شجاع الكرماني: من عمر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة وغض بصره عن المحارم وكف نفسه عن الشهوات، واكل من الحلال لم تخطئ فراسته.

الفائدة الرابعة: أنه يفتح له طرق العلم وابوابه، ويسهل عليه ابوابه وذلك بسبب نور القلب.

الفائدة الخامسة: أنه يورث قوة القلب وثباته وشجاعته فيجعل له سلطان البصيرة مع سلطان الحجة. وفي الأثر: إن الذي يخالف هواه يفرق الشيطان من ظله.

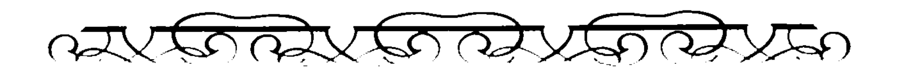
الفائدة السادسة: أنه يورث القلب سروراً وفرحة وانشراحاً أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر، وذلك لقهره عدوه بمخالفتة ومخالفة نفسه وهواه.

الفائدة السابعة: أنه يخلص القلب من أسر الشهوة فان الأسير أسير شهوته وهواه.



الفـائدة الثامنة: أنه يقـوى عقله ويزيده ويثبتـه، فان إطلاق الـبصر وارسـاله لا يحصل الا من خفة العقل وطيشه وعدم ملاحظته للعواقب.

الفائدة التاسعة: أنه يخلص القلب من سكر الشـهوة ورقدة الغفلة، فإن إطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة ويوقع في سكرة العشق.



مفسدات القلب

قال رحمه اللّه في كتابه مدارج السالكين (١ / ٤٥١،٤٥٦)

وأما مفسدات القلب:

كثرة الخلطة - والتمني - والتعلق بغير اللّه - والشبع - والمنام

فهذه من أكبر مفسدات القلب.

فهذه الخمسة تطفئ نوره، وتعور عين بصيرته، وتثقل سمعه، إن لم تصمه وتبكمه، وتوهن صحته، وتفتر عزيمته، وتوقف همته، وتنكسه إلى ورائه.

كثرة الخلطة:

فأما ما تؤثرة كثرة الخلطة فامتلاء، القلب من دخان أنفاس بني آدم حتى يسود ويوجب له تشتتاً وتفرقاً وهماً وغماً.

وكم جلبت خلطة الناس من نقمة، ودفعت من نعمة، وأنزلت من محنة، وعطلت من منحة، وأحلت من رزية، وأوقعت في بلية، وهل آفت الناس إلا الناس؟؟

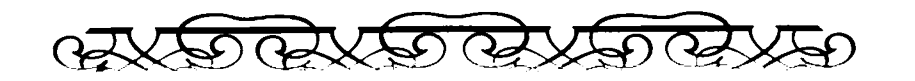
والضابط النافع في أمر الخلطة؟

أن يخالط الناس في الخير ـ كالجمعة والجماعة والأعياد والحج وتعلم العلم والجهاد والنصيحة ـ ويعتزلهم في الشر، وفضول المباحات.

المفسد الثاني: ركوبه بحر التمني

وهو بحر لا ساحل له، وهو البحر الذي يركبه مفاليس العالم. كما قيل: إن المنى رأس أموال المفاليس.

وصاحب الهمة العالية أمانيه حائمة حول العلم والإيمان. فأماني هذا إيمان ونور وحكمة، وأماني أولئك خدع وغرور.



المفسد الثالث: التعلق بغير الله

وهو أعظم مفسداته على الإطلاق.

فليس عليه أضر من ذلك، ولا أقطع له عن مصالحه وسعادته منه، فأعظم الناس خذلاناً مَنْ تعلق بغير الله.

المفسد الرابع: الطعام؟

والمفسد له من ذلك نوعان: أحدهما ما يفسده لعينه وذاته كالمحرمات: وهي نوعان: محرمات لحق الله (كالميتة والدم) ومحرمات لحق العباد (كالمسروق والمغصوب) والثاني: مايفسده بقدره وتعدي حده كالإسراف في الحلال والشبع المفرط.

فإنه يثقله عن الطاعات، ويشغله بمزاولة مؤنة البطنة ومحاولتها حتى يظفر بها، والصوم يضيق مجاري الشيطان ويسد عليه طرقه، والشبع يطرقها ويوسعها.

ومن أكل كثيراً شرب كثيراً فنام كثيراً فخسر كثيراً.

المفسد الخامس: كثرة النوم

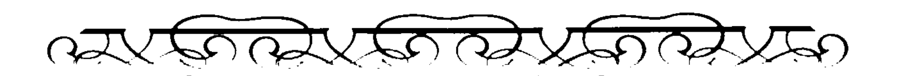
فإنه يميت القلب، ويثقل البدن، ويضيع الوقت، ويورث كثرة الغفلة والكسل، ومنه المكروه جداً، ومنه الضار غير النافع للبدن.

وأنفع النوم: ما كان عند الحاجة إليه، ونوم أول الليل أحمد وأنفع من آخره، ونوم وسط النهار أنفع من طرفيه.

وكلما قرب النوم من طرفيه قلّ نفعه وكثر ضرره، ولا سيما نوم العصر، والنوم أول النهار إلا لسهران.

وبالجملة فأعدل النوم وأنفعه: نوم نصف الليل الأول وسدسه الأخير، وهو مقدار ثمان ساعات.

وهذا أعدل النوم عند الأطباء.



أنواع الناس في الخلطة

قال رحمه الله في كتابه بدائع الفوائد (١/ ٥١٩،٥٢٠).

وأما فضول المخالطة فهي الداء العضال الجالب لكل شر، وكم سلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة؟

وكم زرعت من عداوة؟ وكم غرست في القلب من حزازات تزيل الجبال الراسيات وهي في القلب لاتزول؟

فينبغي أن يجعل الناس فيها أربعة أقسام:

أحدها: من مخالطته كالغذاء.

لايستغنى عنه في اليوم والليلة، وهذا أعز من الكبريت الأحمر، وهم العلماء باللّه وأمره ومكائد عدوه الناصحون لله ولكتابه ولرسوله ولخلقه فهؤلاء في مخالطتهم الربح كله.

الثاني: من مخالطته كالدواء.

يحتاج إليه عند المرض، فما دمت صحيحاً فلا حاجة لك في خلطته، وهم من لايستغنى عن مخالطتهم في مصلحة المعاش.

الثالث: من مخالطته كالداء.

على اختلاف مراتبه وأنواعه، وهم من في مخالطته ضرر ديني أو دنيوي، ويذكر عن الشافعي أنه قال: ما جلس إلى جانبي ثقيل إلا وجدت الجانب الذي هو فيه أنزل من الجانب الآخر.

الرابع: من في مخالطته الهلاك كله.

ومخالطته بمنزلة أكل السم، وما أكثر هذا الضرب في الناس لا كثرهم الله.

وهم أهل البدع والضلالة، فالبعد عنهم خير، وحاول أن تكون جليساً صالحاً



تنفع من جالسك وترشده إلى كل خير وتحذره من كل شر.

الاجتماع بالإخوان

قال رحمه الله في كتابه الفوائد (٦٨).

والاجتماع بالإخوان على قسمين:

١- اجتماع على مؤانسة الطبع وشغل الوقت.

فهذا مضرته أرجح من منفعته، وأقل ما فيه أنه يفسد القلب ويضيع الوقت.

٢- الاجتماع بهم على التعاون على أسباب النجاة والتواصي بالحق والصبر.

فهذا من أعظم الغنيمة وأنفعها.

ولكن فيه ثلاث آفات:

١- تزيّن بعضهم لبعض.

٢- الكلام والخلطة أكثر من الحاجة.

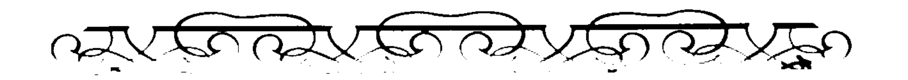
٣- أن يصير ذلك شهوة وعادة ينقطع بها عن المقصود.

وبالجملة.

فالاجتماع والخلطة لقاح إما للنفس الأمارة وإما للقلب والنفس المطمئنة والنتيجة مستفادة من اللقاح فمن طاب لقاحه طابت ثمرته.

وهكذا الأرواح الطيبة لقاحها من الملك، والخبيثة لقاحها من الشيطان.

وقد جعل الله سبحانه بحكمته الطيبات للطيبين، والطيبين للطيبات، وعكس ذلك.



عقبات الشيطان

قال رحمه الله في كتاب مدراج السالكين (١/ ٢٣٧-٢٤٠).

فإنه (أي الشيطان) يريد أن يظفر به في عقبة من سبع عقبات بعضها أصعب من بعض، لاينزل من العقبة الشاقة إلى ما دونها إلا إذا عجز عن الظفر به فيها.

العقبة الأولى: عقبة الكفر بالله.

فإنه إن ظفر به في هذه العقبة بردت نار عداوته واستراح، فإن اقتحم هذه العقبة ونجا منها ببصيرة الهداية، وسلم معه نور الإيمان طلبه على:

العقبة الثانية: هي عقبة البدعة.

إما باعتقاد خلاف الحق الذي أرسل الله به رسوله وأنزل به كتابه، وإما بالتعبد بما لم يأذن به الله.

والبدعتان في الغالب متلازمتان. كما قال بعضهم: تزوجت بدعة الأقوال ببدعة الأعمال فاشتغل الزوجان بالعرس، فلم يفجأهم إلا وأولاد الزنا يعيثون في بلاد الإسلام، تضج منهم العباد والبلاد إلى الله تعالى.

فإذا قطع هذه العقبة وخلص منها بنور السنة طلبه على:

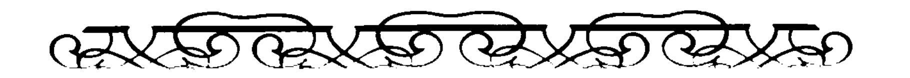
العقبة الثالثة: هي عقبة الكبائر.

فإن ظفر به فيها زينها له، وحسنها في عينه، وسوّف به، وفتح له باب الإرجاء وقال له: الإيمان هو نفس التصديق فلا تقدح فيه الأعمال.

فإن قطع هذه العقبة بعصمة من الله أو بتوبة نصوح تنجيه منها طلبه على:

العقبة الرابعة: وهي عقبة الصغائر.

فكان له منها بالقُفْزان وقال: ما عليك إذا اجتنبت الكبائر ما غشيت من اللمم، أوَ مَا علمتَ بأنها تُكفَّر باجتناب الكبائر وبالحسنات، ولايزال يهون عليه أمرها



حتى يصر عليها، فيكون مرتكب الكبيرة الخائف الوجل النادم أحسن حالاً منه.

فالإصرار على الذنب أقبح منه، ولا كبيرة مع التوبة والاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إياكم ومحقرات الذنوب).

العقبة الخامسة: وهي عقبة المباحات التي لا حرج على فعلها.

فشغله بها عن الاستكثار من الطاعات، وعن الاجتهاد في التزود لمعاده.

وأقل ما ينال منه: تفويته الأرباح والمكاسب العظيمة والمنازل العالية.

ولو عرف السعر لما فوت على نفسه شيئاً من القربات، ولكنه جاهل بالسعر.

فإن نجا من هذه العقبة ببصيرة تامة ونور هاد طلبه العدو على:

العقبة السادسة: وهي عقبة الأعمال المرجوحة المفضولة من الطاعات.

فأمره بها وحسنها في عينه، وزينها له، وأراه ما فيها من الفضل والربح، ليشغله بها عما هو أفضل منها، وأعظم كسباً وربحاً؟

لكن أين أصحاب هذه العقبة؟ فهم الأفراد في العالم، والأكثرون قد ظفر بهم في العقبات الأول؟؟.



طرق دفع الهوى

قال رحمه الله في كتابه روضة المحبين (٤٠١ ـ ٤٠٧).

الهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه، وهذا الميل خلق في الإنسان لضرورة بقائه فإنه لولا ميله إلى المطعم والمشرب والمنكح ما أكل ولا شرب ولا نكح.

وقد قيل: الهوى كمين لا يؤمن، وقال الشعبي: وسمي الهوى هوى لأنه يهوي بصاحبه.

فإن قيل فكيف يتخلص من هذا من قد وقع فيه؟ قيل يمكنه التخلص بعون الله وتوفيقه له بأمور:

١- عزيمة حر يغار لنفسه وعليها.

٢- جرعة صبر يصبر نفسه على مرارتها تلك الساعة.

٣- قوة نفس تشجعه على شرب تلك الجرعة، والشجاعة كلها صبر ساعة.

٤- ملاحظته حسن موقع العاقبة والشفاء بتلك الجرعة.

٥- ملاحظته الألم الزائد على لذة طاعة هواه.

٦- إبقاؤه على منزلته عند الله تعالى وفي قلوب عباده، وهو خير وأنفع له من لذة موافقة الهوى.

٧- إيثاره لذة العفة وعزتها وحلاوتها على لذة المعصية.

٨- فرحه بغلبة عدوه وقهره له وردّه خاسئاً بغيظه وغمه وهمه حيث لم ينل منه أمنيته.

٩- التفكر في أنه لم يلق للهوى وإنما هيء لأمر عظيم لا يناله إلا بمعصيته للهوى كما قيل:



قد هيأوك لأمر لو فطنتَ له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

١٠- أن لايختار لنفسه أن يكون الحيوان البهيم أحسن حالاً منه، فإن الحيوان بطبعه يميز بين مواقع ما يضره وما ينفعه، فيؤثر النافع على الضار، والإنسان أعطي العقل لهذا المعنى.

١١- أن يسير بقلبه في عواقب الهوى فيتأمل كيف أفاتت معصيته من فضيلة، وكم أوقعت في رذيلة، وكم أكلة منعت أكلات، وكم لذة فوتت لذات، وكم شهوة كسرت جاهاً، ونكست رأساً، وقبّحت ذكراً، وأورثت ذماً، وأعقبت ذلاً.

١٢- أن يتصور العاقل انقضاء غرضه ممن يهواه ثم يتصور حاله بعد قضاء الوطر وما فاته وما حصل له.

١٣- أن يتفكر فيما تطالبه به نفسه من ذلك، ويسأل عنه عقله ودينه يخبرانه بأنه ليس بشيء قال عبدالله بن مسعود: إذا أعجب أحدكم امرأة فليذكر مناتنها.

١٤- أن يأنف لنفسه من ذل طاعة الهوى، فإنه ما أطاع أحد هواه إلا وجد في نفسه ذلاً.

١٥- أن يأنف لنفسه أن يكون تحت قهر عدوه.

١٦- أن يعلم أن الهوى ما خالط شيئاً إلا أفسده.

١٧- أن يعلم أن الشيطان ليس له مدخل على ابن آدم إلا من باب هواه.

١٨- أن اتباع الهوى من المهلكات. قال صلى الله عليه وسلم (ثلاث مهلكات: هوى متبع، وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه).

١٩- أن الهوى حظار جهنم المحيط بها وحولها. فمن وقع فيه وقع.

٢٠- أن مخالفة الهوى تورث قوة في بدنه وقلبه ولسانه.



قال بعض السلف: الغالب لهواه أشد من الذي يفتح المدينة وحده.

٢١- أن جهاد الهوى إن لم يكن أعظم من جهاد الكفار فليس بدونه. قال رجل للحسن يا أبا سعيد، أي الجهاد أفضل؟ قال: جهادك هواك.



ثمرات الإيمان بالله

قال رحمه الله في كتابه الجواب الكافي (١١٥ - ١١٦).

ومن فاته رفقة المؤمنين وحُسنُ دفاع الله عنهم - فإن الله يدافع عن الذين آمنوا - فاته كل خير رتّبه الله في كتابه على الإيمان، وهو نحو مئة خصلة، كل خصلة خير من الدنيا وما فيها:

١- فمنها: الأجر العظيم: (وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً).

٢- ومنها: الدفع عنهم شرور الدنيا والآخرة (إن الله يدافع عن الذين آمنوا).

٣- ومنها: استغفار الملائكة وحملة العرش لهم (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا).

٤- ومنها: أمره ملائكته بتثبيتهم: (إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا).

٥- ومنها: أن لهم الدرجات عند ربهم بالمغفرة والرزق الكريم: (لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم).

٦- ومنها: العزة: (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون).

٧- ومنها: معية الله لأهل الإيمان: (وأن الله مع المؤمنين).

٨- ومنها: الرفعة في الدنيا والآخرة: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات).

٩- ومنها: أمانهم من الخوف يوم يشتد الخوف: (فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

والمقصود:

أن الإيمان سببٌ جالب لكل خير، وكل خير في الدنيا والآخرة فسببه الإيمان، وكل شر في الدنيا والآخرة فسببه عدم الإيمان.



كيف يندفع شر الحاسد عن المحسود

قال رحمه الله في كتابه بدائع الفوائد (١ / ٤٨١ـ ٤٨٨).

ويندفع شر الحاسد عن المحسود بعشرة أسباب:

أحدها: التعوذ بالله من شره والتحصن به واللجأ إليه.

السبب الثاني: تقوى الله وحفظه عند أمره ونهيه. فمن اتقى الله تولى الله حفظه ولم يكله إلى غيره.

السبب الثالث: الصبر على عدوه وأن لايقابله ولايشكوه، ولايحدث نفسه بأذاه أصلاً، فما نُصر على حاسده وعدوه بمثل الصبر عليه والتوكل على الله.

السبب الرابع: التوكل على الله، فمن يتوكل على الله فهو حسبه، والتوكل من أقوى الأسباب.

السبب الخامس: فراغ القلب من الاشتغال به والفكرفيه، وأن يقصد محوه من باله كلما خطر له، وهذا من أنفع الأدوية وأقوى الأسباب المعينة على اندفاع شره.

السبب السادس: هو الإقبال على الله والإخلاص له.

السبب السابع: تجريد التوبة إلى الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه، فإن الله يقول (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم).

السبب الثامن: الصدقة والإحسان ما أمكنه، فإن لذلك تأثيراً عجيباً في دفع البلاء ودفع العين وشر الحسد.

السبب التاسع: وهو من أصعب الأسباب على النفس وأشقها عليها، ولا يوفق له إلا من عظم حظه من الله: وهو طفي نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه، فكلما ازداد أذى وشراً وبغياً وحسداً ازددت إليه إحساناً وله نصيحة وعليه شفقة.

السبب العاشر: وهو الجامع لذلك كله وعليه مدار هذه الأسباب، وهو تجريد التوحيد، والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم.

فهذه عشرة أسباب يندفع بها شر الحاسد والعائن والساحر.



فوائد محاسبة النفس

قال رحمه الله في كتابه إغاثة اللهفان (٩٧ـ ١٠١)

وقد دل على وجوب محاسبة النفس قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد) يقول تعالى: لينظر أحدكم ما قدم ليوم القيامة من الأعمال: أمن الصالحات التي تنجيه أم من السيئات التي توبقه.

والمقصود أن صلاح القلب بمحاسبة النفس، وفساده بإهمالها والاسترسال معها.

ذكر الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب أنه قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا انفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم.

وقال ميمون بن مهران: لا يكون العبد تقياً حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه.

ولهذا قيل: النفس كالشريك الخوان، إن لم تحاسبه ذهب بمالك.

وقال أيضاً: إن التقي أشد محاسبة لنفسه من سلطان عاص، ومن شريك شحيح.

وفي محاسبة النفس عدة مصالح:

١- منها: الاطلاع على عيوبها.

ومن لم يطلع على عيب نفسه لم يمكنه إزالته، فإذا اطلع على عيبها مقتها في ذات الله تعالى.

قال بكر بن عبدالله المزني: لما نظرت إلى عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم، لولا أني كنت فيهم.



قال أيوب السختياني: إذا ذكر الصالحون كنت عنهم بمعزل.

ومقت النفس في ذات الله من صفات الصديقين، ويدنو العبد به من الله سبحانه في لحظة واحدة أضعاف أضعاف ما يدنو به بالعمل.

٢- ومن فوائد محاسبة النفس: أنه يعرف بذلك حق الله تعالى عليه.

ومن لم يعرف حق الله تعالى عليه فإن عبادته لا تكاد تجدي عليه، وهي قليلة المنفعة جداً.

فمن أنفع ما للقلب:

النظر في حق الله على العبد، فإن ذلك يورثه مقت نفسه والازراء عليه ويخلصه من العجب ورؤية العمل، ويفتح له باب الخضوع والذل والانكسار بين يدي الله واليأس من نفسه.



شر الشيطان

قال رحمه الله في كتابه بدائع الفوائد (٥٠١ـ٥٠٣).

١- فمن شره (أي الشيطان):

أنه لص سارق لأموال الناس، وكل طعام أو شراب لم يذكر اسم الله عليه فله فيه حظ بالسرقة والخطف.

٢- ومن شره: أنه إذا نام العبد عقد على رأسه عقداً تمنعه من اليقظة.

٣- ومن شره: أنه يبول في أذن العبد حتى ينام إلى الصباح.

٤- ومن شره: أنه قعد لابن آدم بطرق الخير كلها، فما من طريق من طرق الخير إلا والشيطان مرصد عليه يمنعه بجهده أن يسلكه.

٥- ويكفي من شره: أنه أقسم بالله ليقعدن لبني آدم صراطه المستقيم.

٦- ولقد بلغ من شره: أنه أعمل المكيدة وبالغ في الحيلة حتى أخرج آدم من الجنة.

ويكفي من شره:

أنه تصدى لإبراهيم خليل الرحمن حتى رماه قومه بالمنجنيق في النار، فرد الله كيده ولا يمكن حصر أجناس شره فضلاً عن آحادها، إذ كل شر في العالم فهو السبب فيه.



ما يعتصم به العبد من الشيطان

قال رحمه الله في كتابه بدائع الفوائد (٥١١-٥١٦).

وذلك عشرة أسباب.

أحدها: الاستعاذة بالله من الشيطان.

الحرز الثاني: قراءة هاتين السورتين (الفلق والناس) فإن لهما تأثيراً عجيباً في الاستعاذة بالله من شره ودفعه.

الحرز الثالث: قراءة آية الكرسي.

الحرز الرابع: قراءة سورة البقرة. وفي الحديث (البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان).

الحرز الخامس: قراءة خاتمة سورة البقرة.

الحرز السادس: أول سورة حم المؤمن إلى قوله (إليه المصير) مع آية الكرسي.

الحرز السابع: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة.

الحرز الثامن: هو من أنفع الحروز كثرة ذكر الله عز وجل.

الحرز التاسع: الوضوء والصلاة وهذا من أعظم ما يحترز به منه ولا سيما عند توارد قوة الغضب والشهوة.

الحرز العاشر: إمساك فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس، فإن الشيطان إنما يتسلط على ابن آدم وينال منه غرضه من هذه الأبواب الأربعة.



آثار الذنوب والمعاصي

قال رحمه الله في كتابه الجواب الكافي (٨٥ ـ ١٤٢).

وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة والمضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة مالا يعلمه إلا الله.

١- فمنها: حرمان العلم.

فإن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور.

٢- ومنها: حرمان الرزق.

وفي المسند (إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه)، وكما أن تقوى الله مجلبة للرزق، فترك التقوى مجلبة للفقر، فما استجلب رزق الله بمثل ترك المعاصي.

٣- ومنها: أن المعاصي تزرع أمثالها، ويولد بعضها بعضاً.

حتى يَعُز على العبد مفارقتها والخروج منها، كما قال بعض السلف: إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها، وإن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها.

٤- ومنها: أن المعصية سبب لهوان العبد على ربه وسقوطه من عينه.

قل الحسن البصري: هانوا عليه فعصوه، ولو عزوا عليه لعصمهم، وإذا هان العبد على الله لم يكرمه أحد. كما قال تعالى (ومن يهن الله فما له من مكرم).

٥- ومنها: أن العبد لايزال يرتكب الذنب حتى يهون عليه ويصغر في قلبه.

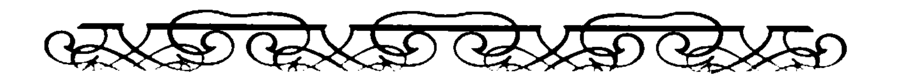
وذلك علامة الهلاك، فإن الذنب كلما صغر في عين العبد عظم عند الله.

٦- ومنها: أن المعصية تورث الذل ولابد.

فإن العز كل العز في طاعة الله. قال تعالى (من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً)، أي فليطلبها بطاعة الله.

وكان من دعاء بعض السلف: اللهم أعزني بطاعتك، ولا تذلني بمعصيتك.

٧- ومنها: أن الذنوب تدخل العبد في لعنة رسول الله.



فإنه صلى الله عليه وسلم لعن على معاصٍ، فلعن الواشمة والمستوشمة، والواصلة والمستوصلة، والنامصة والمتنمصة، ولعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه، ولعن السارق، ولعن شارب الخمر، ولعن المصورين.

٨- ومنها: أنها تحدث في الأرض أنواعاً من الفساد في المياه والهواء والزروع والثمار والمساكن.

قال تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون).

قال ابن زيد (ظهر الفساد في البر والبحر) قال: الذنوب.

٩- ومنها: أنها تزيل النعم وتحل النقم.

فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلت به نقمة إلا بذنب، ولايرفع بلاء إلا بتوبة.

كما قال علي (ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع بلاء إلا بتوبة).

ومنها: أنها تمحق بركة العمر، وبركة الرزق، وبركة العلم، وبركة العمل، وبركة الطاعة.

وبالجملة تمحق بركة الدين والدنيا، فلا تجد أقل بركة في عمره ودينه ودنياه ممن عصى الله، وما محقت البركة من الأرض إلا بمعاصي الخلق.

١٠- ومنها: أنها تخون العبد أحوج ما يكون إلى نفسه.

وثم أمر أخوف من ذلك وأدهى وأمر وهو أن يخونه قلبه ولسانه عند الاحتضار، فربما تعذر عليه النطق بالشهادة كما شاهد الناس كثير من المحتضرين أصابهم ذلك حتى قيل لبعضهم:

قل: لا إله إلا الله، فقال: آه آه، لا أستطيع أن أقولها.

وقيل لآخر ذلك فقال: وما يغني عني، وما أعرف أني صليت لله صلاة؟ ولم يقلها.



أنواع هجر القرآن

قال رحمه الله في كتابه الفوائد (١٠٧-١٠٨).

هجر القرآن أنواع.

١- هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.

٢- هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به.

٣- هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه.

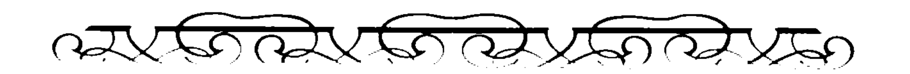
٤- هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

٥- هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها.

وكل هذا دخل في قوله تعالى:

(وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً).

وإن كان بعض الهجر أهون من بعض.



فضل العلم على المال

قال رحمه الله في كتابه مفتاح دار السعادة (١٧٧ - ١٧٨).

وفضل العلم على المال يعلم من وجوه:

١- أن العلم ميراث الأنبياء والمال ميراث الملوك والأغنياء.

٢- أن العلم يحرس صاحبه وصاحب المال يحرس ماله.

٣- أن المال تذهبه النفقات والعلم يزكو على النفقة.

٤- أن صاحب المال إذا مات فارقه ماله والعلم يدخل معه قبره.

٥- أن العلم حاكم على المال، والمال لا يحكم على العلم.

٦- أن المال يحصل للمؤمن والكافر والبر والفاجر والعلم النافع لا يحصل إلا للمؤمن.

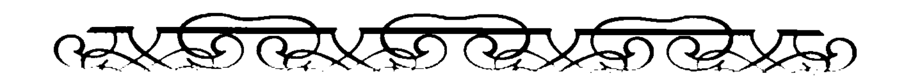
٧- أن العلم يحتاج إليه الملوك فمن دونهم وصاحب المال إنما يحتاج إليه أهل العدم والفاقة.

٨- أن النفس تشرف وتزكو بجمع العلم وتحصيله وذلك من كمالها وشرفها، والمال يزكيها ولا يكملها ولا يزيدها صفة كمال بل النفس تنقص.

٩- أن المال يدعوها إلى الطغيان والفخر والخيلاء والعلم يدعوها إلى التواضع والقيام بالعبودية.

١٠- أن العلم جاذب موصل لها إلى سعادتها التي خلقت لها، والمال حجاب بينها وبينها.

١١- أن غنى العلم أجل من غنى المال، فإن غنى المال غنى بأمر خارجي عن حقيقة الإنسان لو ذهب في ليلة أصبح فقيراً معدوماً، وغنى العلم لا يخشى عليه الفقر بل هو في زيادة أبداً.



فضائل الذكر

قال رحمه الله في كتابه الوابل الصيب (٦٩ ـ ١٣٠).

وللذكر نحو من مائة فائدة:

١- **منها:** أنه يطرد الشيطان، ويرضي الرحمن، ويزيل الهم والغم عن القلب.

٢- **ومنها:** أنه يورثه ذكر الله تعالى له.

كما قال تعالى (فاذكروني أذكركم).

ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفاً.

٣- **ومنها:** أنه يورث حياة القلب.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟

٤- **ومنها:** أنه يحط الخطايا ويذهبها.

فإنه أعظم الحسنات، والحسنات يذهبن السيئات.

٥- **ومنها:** أنه منجاة من عذاب الله.

كما قال معاذ ويروى مرفوعاً (ما عمل آدميٌّ عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله).

٦- **ومنها:** أنه سببُ اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل.

فإن العبد لا بد له أن يتكلم، فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره تكلم بهذه المحرمات أو بعضها.

٧- **ومنها:** أن مجالس الذكر مجالس الملائكة.

ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشيطان، فليتخير العبد أعجبهما إليه وأولاهما



به فهو مع أهله في الدنيا والآخرة.

٨- ومنها: أن الذكر يعطي الذاكر قوة.

حتى إنه ليفعل مع الذكر مالا يطيق فعله بدونه، وقد علّم النبي صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة وعلياً أن يسبحا كل ليلة إذا أخذا مضاجعهما ثلاثاً وثلاثين، ويحمدا ثلاثاً وثلاثين، ويكبرا أربعاً وثلاثين، لما سألته الخادم فقال: إنه خير لكما من خادم.

فقيل: إن من دوام على ذلك وجد قوة في بدنه مغنيه عن خادم.

٩- **ومنها:** أن كثرة ذكر الله أمان من النفاق.

قال الله تعالى في المنافقين (ولا يذكرون الله إلا قليلاً).

وقال كعب: من أكثر ذكر الله برئ من النفاق.

١٠- **ومنها:** أن الذكر شفاء القلب ودواؤه.

قال مكحول: ذكر الله شفاء، وذكر الناس داء.

١١- **ومنها:** أن من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا فليستوطن مجالس الذكر فإنها رياض الجنة.

١٢- **ومنها:** أن مجالس الذكر مجالس الملائكة، فليس من مجالس الدنيا لهم مجلس إلا مجالس يذكر الله تعالى فيه.

١٣- **ومنها:** أن الله عز وجل يباهي بالذاكرين ملائكته.

فهذه المباهاة من الرب تبارك وتعالى دليل على شرف الذكر عنده ومحبته له.



ذم الدنيا

قال رحمه الله في كتاب الفوائد (١٢٢)

لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا، ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين:

النظر الأول: النظر في الدنيا:

وسرعة زوالها وفنائها واضمحلالها ونقصها وخستها وألم المزاحمة عليها والحرص عليها، وما في ذلك من الغصص والنغص والأنكاد.

النظر الثاني: النظر في الآخرة:

وإقبالها ومجيئها ولابد، ودوامها وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات والتفاوت الذي بينها وبين ما ههنا، فهي كما قال تعالى (والآخرة خير وأبقى) فهي خيرات كاملة دائمة، وهذه خيالات ناقصة مضمحلة.

الدنيا دار معبر لا دار مقام ومستقر، ودار عبور لا دار سرور، وأنها سحابة صيف تنقشع عن قليل.

١- أخبر سبحانه عن خسة الدنيا وزهد فيها.

فقال سبحانه (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس..).

٢- وتوعد الله لمن رضي بالحياة الدنيا واطمأن بها.

فقال تعالى (إن الذين لايرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين



هم عن آياتنا غافلون. أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون).

٣- وعيّر سبحانه من رضي بالدنيا من المؤمنين.

فقال(... أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل)

٤- ويكفي في الزهد في الدنيا.

قوله تعالى (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها).



قصر الأمل

قال رحمه الله في كتاب مدارج السالكين (١/ ٤٤٨).

فأما قصر الأمل:

فهو العلم بقرب الرحيل وسرعة انقضاء مدة الحياة. وهو من أنفع الأمور للقلب.

فإنه:

يبعثه على انتهاز الفرص التي تمر مر السحاب

- ومبادرة طي صحائف الأعمال
- ويثير ساكن عزماته إلى دار البقاء
- ويزهده في الدنيا
- ويرغبه في الآخرة.
- فيقوم بقلبه (إذا داوم مطالعة قصر الأمل) شاهد من شواهد اليقين، يريه فناء الدنيا - وسرعة انقضائها - وقلة ما بقي منها - وأنها قد ترحلت مدبرة، ولم يبق منها إلا كما بقي من يوم صارت شمسه على رؤوس الجبال.

ويكفي في قصر الأمل:

قوله تعالى (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها).

وقوله (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ، فهل يهلك إلا القوم الفاسقون).

وخطب صلى الله عليه وسلم أصحابه يوماً والشمس على رؤوس الجبال فقال (إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه).

وقصر الأمل بناؤه على أمرين:

١- تيقن زوال الدنيا ومفارقتها.

٢- وتيقن لقاء الآخرة وبقائها ودوامها.



إخفاء الدعاء

قال رحمه الله في كتابه بدائع الفوائد (٢/ ٩٨).

وفي إخفاء الدعاء فوائد عديدة:

أحدها: أنه أعظم إيماناً.

لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع دعاءه الخفي.

وثانيها: أنه أعظم في الأدب والتعظيم.

ولهذا لا تخاطب الملوك ولا تسأل برفع الأصوات، وإنما تخفض عندهم الأصوات.

وثالثها: أنه أبلغ في التضرع والخشوع.

فإن الخاشع الذليل الضارع إنما يسأل مسألة مسكين ذليل قد انكسر قلبه.

ورابعها: أنه أبلغ في الإخلاص.

وخامسها: أنه أبلغ في جمعية القلب على الله في الدعاء.

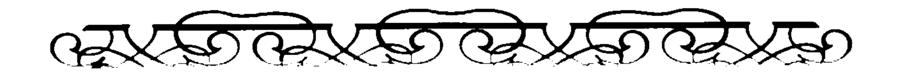
فإن رفع الصوت يفرقه ويشتته، فكلما خفض صوته كان أبلغ في صمده وتجريد همته.

وسادسها: أنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال.

فإن اللسان لايمل والجوارح لا تتعب بخلاف ما إذا رفع صوته، فإنه قد يكل لسانه وتضعف بعض قواه.

وسابعها: إخفاء الدعاء أبعد له من القواطع والمشوشات والمضعفات.

فإن الداعي إذا أخفى دعاءه لم يدر به أحد، فلا يحصل هناك تشويش



ولا غيره.

وثامنها: أن أعظم النعم الإقبال على الله والتعبد له.

ولكل نعمة حاسد على قدرها دقت أو جلت، ولا نعمة أعظم من هذه النعمة.

وليس للمحسود أسلم من إخفاء نعمته على الحاسد وقد قال يعقوب ليوسف (لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدو مبين).



غرور الأماني

قال رحمه اللّه في كتابه الفوائد (٨٣).

يا مغرور الأماني:

١- لعنَ إبليس وأهبطَ من منزل العز بترك سجدة واحدة أُمر بها.

٢- وأخرج آدم من الجنة بلقمة تناولها.

٣- وحجب القاتل عنها (أي الجنة) بعدما رآها عياناً بملء كف من دم.

٤- وأمر بقتل الزاني أشنع القتلات بإيلاج قدر الأنملة فيما لا يحل.

٥- وأمر بإيساع الظهر سياطاً (أي الجلد) بكلمة قذف أو بقطرة من مسكر.

٦- وأبان عضواً من أعضائك بثلاثة دراهم فلا تأمنه أن يحبسك في النار بمعصية واحدة من معاصيه (ولا يخاف عقباها).

٧- دخلت امرأة النار في هرة.

٨- وإن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب.

٩- وإن الرجل ليعمل بطاعة الله ستين سنة، فإذا كان عند الموت جار في الوصية فيختم له بسوء عمله فيدخل النار، العمر بآخره والعمل بخاتمته.

١٠- من أحدث قبل السلام بطل ما مضى من صلاته، ومن أفطر قبل غروب الشمس ذهب صيامه ضائعاً. ومن آساء في آخر عمره لقي ربه بذلك الوجه.

١١- كم جاء الثواب يسعى إليك فوقف بالباب فرده بواب (سوف، ولعل ، وعسى)؟

١٢- كيف الفلاح بين إيمان ناقص، وأمل زائد، ومرض لا طبيب له ولا عائد، وهوى مستيقظ، وعقل راقد؟



تمت بحمد الله القسم الأول

ويليه القسم الثاني وأوله:

علاج حر المصيبة وحزنها

بقلم الفقير إلى ربه تعالى

سليمان بن محمد اللهيميد